المرتكزات الأساسية فى فكر الجماعات المتطرفة (والرد عليها)

يعتمد فكر الجماعات الدينية المتطرفة على مجموعة من المرتكزات الأساسية التى تبدو -من وجهة نظرهم- أنها لاتقبل المناقشة، وبالتالى لاتعتبر مجالا للمساومة. وهم يتمسكون بها على نحو قاطع، ويدافعون عنها حتى ولو اصطدمت بضرورات العقل، ومتطلبات التقدم. وأهم هذه المرتكزات:

١- **الإسلام هو الحل:** وهذا الشعار يعنى رفض أى نظام سياسى مستورد من الشرق أو الغرب، كالاشتراكية أوالرأسمالية، أو أى مذهب فلسفى أو فكرى كالوجودية، والوضعية المنطقية. ويستدلون على ذلك بأن كل هذه المذاهب والأنظمة قد ثبت إفلاسها، ليس فقط عندما حاول المسلمون تطبيقها، وإنما لدى أصحابها أنفسهم الذين أنشأوها[٢١].

وللرد على ذلك يقال: إننا فى مصر على سبيل المثال -لانستورد هذه المذاهب بالكامل، ونحلها محل الإسلام الذى هو عقيدة الأغلبية عندنا، وإنما نأخذ من كل منها بقدر، ولم يحدث أننا ألغينا الإسلام كدين وعقيدة وشعائر من حياتنا، سواء فى الفترة التى اتجهت فيها الدولة إلى الاشتراكية، أو الرأسمالية (النسبية) التى تسير عليها الآن.

ومن حق المسلمين أن يستفيدوا من تجارب الشعوب الأخرى فى مجالات السياسية والإدارة والدفاع. وقد حدث هذا بالفعل أمام الرسول (ص)، وفى عهد الخلفاء الراشدين، وفى كل عصور التاريخ الإسلامى: أخذوا من الفرس، ومن الروم، وأبقوا على الأنظمة السابقة طالما كانت مفيدة لهم، وقد طوروها بعد ذلك وأضافوا إليها..

٢- **الحاكمية لله:** وهذا شعار آخر، يعنى أن حكم البشر أيا كان نوعه ومستواه مرفوض أصلا[٢٢]، لكن من الذى يطبق هذا الحكم؟ وبأى

أسلوب؟ يجيبون بأنهم هم المقصودون بذلك، وأن الأسلوب يمكن أن يتضح من خلال التطبيق ذاته.

وللرد نقول: نعم الحكم والأمر لله. ولكنه استخلف الإنسان فى الأرض لكى يدبر أمور معاشه بالطريقة التى تناسبه. وأعطى له العقل، ومنحه حرية الاختيار، وزوده بملكة التمييز بين النافع والضار.

ولم يحدثنا التاريخ كله عن (حاكم - ملاك) أى منزه تماما عن الخطأ. والمسألة تتوقف على محاولة كل حاكم مسلم الاقتراب -بقدر الطاقة البشرية- من الحكم النموذجى الذى يتحقق فيه العدل والمساواة لجميع أفراد الشعب.

وأخيرا فإن الآية التى تشير إلى أن (الحكم لله) لايقصد بها العمل السياسى، وإنما الميزان الذى توزن به أعمال البشر عندما يختلفون فيما بينهم.

٣- **الخلافة الإسلامية، على منهاج النبوة:** ورغم مايبدو من استحالة تحقيق هذه الفكرة بعد ظهور القوميات، واستقرار حدود الدول، فإنهم يفترضون إقامة الخلافة أولا فى بلد إسلامى، ثم الإنطلاق منها إلى بقية البلاد الإسلامية الأخرى لإعادة فتحها وإخضاعها لمنهج الله -على حد تعبيرهم- تمهيدا لفتح بقية أنحاء العالم، حتى يعمه كل الحكم الإسلامى الخالص.

والفكرة هنا أقرب -من حيث الظاهر- إلى فكرة جمال الدين الأفغانى، عن الجامعة الإسلامية. ولكن المشكلة تكمن فى منهج تحقيق الفكرة. فالأفغانى يعتمد على التوعية، وهؤلاء يسلكون طريق القوة المسلحة، ليس فقط مع الدول المخالفة، وإنما مع الدول الإسلامية نفسها.

وهذا فضلا عن تعارض هذا المنهج مع اتجاه واضح جدا فى القرآن الكريم للدعوة إلى الله بالرفق، والحسنى، والعمل الصالح، والقدوة الطيبة..

٤- **الجهاد:** ويعنون به جهاد الكفار، والمقصود بهم لديهم: المشركون بالله، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بلغتهم الدعوة ولم يستجيبوا، والمسلمون الذين يخلون بأى جزء من شريعة الإسلام، ويدخل فيهم الحكام الحاليون، والمجتمعات المنحرفة.

ويقوم هذا المبدأ -لديهم- على عدم فهم متكامل لمبدأ الجهاد الإسلامى فى إطار الشريعة الإسلامية، ومتى يكون فرض عين، ومتى يكون فرض كفاية، ومتى يتوقف فى ظل ظروف معينة - كالتى نعيشها الآن.

إن عصر الإعلام الذى نعيشه حاليا يجعل الجهاد بالكلمة أهم بكثير جدا من الجهاد بالسيف. ومن الواضح أن المسلمين، وهؤلاء المتطرفين بصفة خاصة، مقصرون جدا فى إبلاغ الإسلام عن طريق الإعلام بوسائله المتعددة، بل إنهم يضعون أنفسهم فى قلب الإعلام الدولى كجماعات خارجة عن القوانين المستقرة، ولاهدف لها إلا التدمير والعنف.

٥- **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:** ويلاحظ أن الشق الأول يكاد يكون غائبا لديهم. أما النهى عن المنكر فعلى الرغم من تفصيل الرسول (ص) لدرجات تغييره: باليد، فاللسان، فالقلب -فإن التغيير باليد هو المقصود الأساسى عندهم، ويشمل استخدام القوة المسلحة.

وهذا دليل واضح على أنهم يقتطعون من المبادئ الإسلامية الأجزاء التى تخدم هدفهم السياسى فى الوصول إلى غرضهم.

٦- **طاعة أمير الجماعة:** من طاعة الله، بل إنها فرض. وهو دائما هاد لغيره، ومهدى من الله. ولذلك لاينبغى الخروج عن حكمه أو عصيانه[٢٣]. وهذا يتناقض تماما مع المبدأ القائل بأن كل شخص يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله (ص) - كما أنه يتنافى مع مبدأ عصمة الأنبياء وحدهم من الخطأ، ويبسط هذه العصمة على أفراد المسلمين، كما فعل الشيعة مع زعمائهم الروحيين.

٧- **وجوب العمل الجماعى:** تأسيسا على قاعدة أصولية تقول "إن مالايتم الواجب إلا به فهو واجب" ولما كان تحقيق الخلافة الإسلامية يتطلب تضافر الجهود الفردية أصبح الانضمام إلى الجماعة واجبا، وكذلك الاستمرار فيها، والالتزام الكامل بتعاليمها.

صحيح أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضها، والاتحاد بين المسلمين واجب، ولكن فى أى اتجاه؟ فى سبيل الإبقاء على كيان جماعة المسلمين، وعدم إلحاق الأذى بهم، أو ترويع الآمنين منهم.

تبقى بعد ذلك عدة نقاط أخرى، قد لاتكون موضع إجماع الجماعات المتطرفة كلها، ولكنها تعتبر بالنسبة لمن يعتنقها منهم ضرورية للغاية، ومنها:

١- **الهجرة من أرض الكفر:** وهى عندهم: أى بلد لاتقيم أحكام الشريعة الإسلامية بالكامل، ثم العودة بعد الاستعداد.. لفتحها فتحا إسلاميا جديدا.

وهذا إخراج للهجرة المعروفة فى الإسلام عن مدلولها المتعارف عليه، بل المجمع عليه من جمهور المسلمين، وهى هجرة الرسول (ص) من أرض الشرك والأوثان بمكة، إلى بلد آخر يمكنه أن يستقبل الدعوة بترحاب أكثر.

ثم إن المجتمعات الإسلامية المعاصرة لم تعد بعد دار كفر، وكل ما فيها بعض المخالفات أو التجاوزات التى يمكن تصحيحها، والتى هى موجودة فى كل بلد فى العالم قديما وحديثا.

٢- **تحريم تعلم الكتابة إلا لضرورة،** وكذلك طلب أى علم لاتحتاجه الجماعة. وكان من نتيجة ذلك الاقتصار على حفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم، والإلمام فقط بأمور العبادات، بالإضافة إلى خطة تغيير المجتمع.

ومن الواضح أن هذا المبدأ يصطدم بأولى حقائق التقدم العلمى، وطلب المعرفة الغريزى فى طبيعة البشر. وتعتبر محاولة نشره وتطبيقه من أخطر ما يهدد كيان أى مجتمع نام، فضلا عن أنه يتعارض تعارضا صريحا مع مادعا إليه القرآن الكريم، وحث عليه الرسول (ص) من ضرورة طلب العلم، والاستفادة من نتائج المعرفة.

٣- **الإمتناع عن الصلاة فى المساجد التى تشرف عليها الدولة،** باعتبارها "مساجد ضرار" وبخاصة المساجد التى أقيمت على قبور أهل البيت، والأولياء. ولاشك أن التأثر هنا واضح بالمذهب الوهابى تماما.

والرد يتمثل أولا فى أن مساجد الدولة بمصر ليست مساجد ضرار، فقد بناها السلاطين والولاة والحكومات لأداء الشعائر، وقد قامت بدورها التعبدى والعلمى أيضا خلال فترات التاريخ الطويل. ولاعلاقة لها على الإطلاق بمسجد الضرار الذى بناه المنافقون فى المدينة.

أما المساجد المقامة فى مصر على قبور أهل البيت وأولياء الله الصالحين فهى قائمة منذ عصور طويلة، والمصريون يميزون دائما بين ما هو شرعى أو غير شرعى فيها. فلم يحدث أن اتجهوا إلى أصحابها بالعبادة، أو التقديس، وإنما هم يتبركون بها، وهذا نوع من التدين العميق الذى يتميزون به بخلاف أهل نجد، الذين ظهر فيهم المذهب الوهابى فقد كانوا بدوا جهلاء، يحسبون أن الدين كله يتوقف على تقديس هذه الأماكن ذاتها.

٤- **الامتناع عن الالتحاق بالجيش**، بناء على مبدأ الفرار من العدو المحلى، تماما مثل الفرار من العدو الوافد، إلى حين استكمال القوة والاستعداد لملاقاته.

وهنا مغالطة واضحة، بل وسوء تفكير واعتقاد، بل وخيانة للوطن الذى ينتمون إليه. وكيف بقوم يعتبرون جيش بلادهم مساويا فى العداء لجيش عدو أجنبى..

٥- **التحاق امرأة متزوجة بالجماعة** يقضى بضرورة التفريق بينها وبين زوجها نظرا لاختلافهما حينئذ فى العقيدة. ومعنى ذلك الحكم بكفره.

وهذا رأى قديم لم يقل به إلا طائفة من طوائف الخوارج، ولم يقبله أى فقيه مسلم فى القديم والحديث.